# الفنان (*)

للآنسة زينب الحكيم

الفنان إنسان منقب ، يغريه الأمل فيسبح فى خيالات خلابة، أو يؤسه الغدر فيراع ، وهو على أية حال يكونها متنقل متفنن ...

تعاف نفسه الاستقرار ، ويؤلمه الجمود ، هو إنسان دقيق الشعور مرهف الحس، يدرك من وراء الظواهر ما لا يدركه غيره؛ فإذا أصاب الهدف فبشّره بفلاح عظيم ، إذ تسمو مداركه ويمرن نشاطه ويخلد فنه ؛ وهو كلما طال وقت اختباراته دقّ إدراكه ونفذ إلى ما وراء خيالاته ومشاهداته ، وكلما صمت نطقت ريشته ، ودوى نغم وتره ...

### امتحان

اختبر مرة فنان صينى ماهر تلاميذه — فكلفهم رسم جبل فى بلادهم يسمى « جبل الأسرار » ، ومن فوقه وحوله الهيا كل للعبادة .

رسم الطلاب الجبل بإتقان ، وأظهروا حوله الهيا كل ، فجاءت رسومهم نماذج باهرة ، وراحوا إلى أستاذهم فخورين ؛ ولكن كان نصيبهم جميعاً الرسوب فى الامتحان ، إذ قال لهم أستاذهم : إن رسومكم التى أرى ، إن دلت على شىء ، فلا تدل على أكثر من أشياء ظاهرية مادية ساذجة ، مما يشير إلى أن خيالكم قاحل وفنكم بدائى ، ولم تحاولوا تفهم نفوسكم حتى تستطيعوا نحت شىء منها يخلد به تصوركم لجبل الأسرار وما يحيط به .

لقد كان يكفى يا تلاميذى أن ترسموا هيكل الجبل من بعيد ، وقد اختفت أجزاء منه : إما فى ضباب ، أو زوبعة ، أو وراء السحب ؛ وقد كان يكفى الرمز إلى وجود هياكل حوله وعلى قمته بأن ترسموا راهباً أو اثنين يجلبان ماء من مجرى الماء بالوادى ، أو من مساقط المياه القريبة ليصعدا به على الجبل . ويكفى ما يشير إليه عملهما من وجود الرحمة والتضحية والتجرد ، كما يكفى هذا لفهم دلالة الرسم على ما قصد به .

هكذا الحياة شك ويقين ، ووضوح وغموض ، ويأس وأمل ، وصدق وكذب ، وخداع ووفاء ، وشدة ورخاء ، وحب وكره ، وغير ذلك مما لا حصر له من الأضداد .

مسكين الإنسان يضل بين هذه جميعاً ، يخدعه البصر حيناً وتخادعه الحواس أحياناً . تثيره الموسيقى وتشمعه الفلسفة ، فيصير نوراً فى الأنوار أو روحاً فى الأرواح . حياته نهب بين الشدائد والتأملات . الشدائد تصقل نفسه من جهة وتنمى خياله التأملات من جهة أخرى ، فيضيف إلى شخصيته شخصيات متعددة كلما مرت به حادثة أو اختلجت قسماته وتأثرت أعصابه . ولكن هل إدراكه محدود؟ هذا ما يحيرنى . أما نشاطه فمحدود بتحلل هيكله ، ولكن نشاطه الإدراكى هل يزول أيضاً وينتهى إلى الأبد كما ينتهى الجسم ؟!

### صورة

أتخيل الآن تحفة من روائع الخيال والفن الصينى ، أهدتها إلى بعثة الإخاء الإسلامية الصينية ( نزيلة القاهرة فى شهرى مارس وابريل ١٩٣٩ )

هذه الصورة بها أعشاب مزهرة ، وبها طيور خواضة . وقف ثلاثة منها معاً على العشب المأى ، ولفت نظرى سماتها المختلفة

فواحدة كأنما تجدّ فى إخفاء وجهها ، وتحاول إغماض عينيها فلا تريد أن يراها أحد أو ترى أحداً ؛ وواحدة تكابد يأساً قاتلاً وهماً مقيماً ؛ والثالثة تطأطئ رأسها وقد وقفت على ساق واحدة فى إعياء وخفض جناح

والناظر إلى ثلاثتها لا بد أن يشفق عليها، ويعجب من أمرها. وفى أعلى الصورة طائران يحلقان معاً فى ضوء البدر الخلاب وقد قاربا أزهار العشب وهما يهبطان بالتدرج ، ويطمئن الناظر إليهما لما تضفيان عليه من سمات الانشراح والاطمئنان والسعادة

فى الصورة شىء آخر أحاول تذكره فلا تسعفنى الذاكرة ،

(*) الفنان كما أفهمه لا كما ينص عليه قاموس اللغة .

وقد صممت ألا أرى الإطار حتى أذكر ذلك الشيء ، الذى أذكر موضعه فى الجهة اليسرى من أعلى الصورة ، ولكنى لا أذكر إذا كان جبلاً أو إنساناً أو حيواناً أو غير ذلك ... غريب هذا ! إن جميع ألوان الصورة حاضرة فى مخيلتى بجميع دقائقها من ظل وألوان وحجم وتناسق وكل شيء إلا ذلك الشيء المنسى فى أعلى الصورة من الجهة اليسرى ... ترى ما هو وما دلالته ، ولماذا أهملته باصرتى وذاكرتى ، ولا يمكن أن أتصوره فقد انمحى أثره من مخيلتى تماماً ؟ !

إن زهر المشب الساحق بألوانه المشوبة بالحمرة والصفرة، والمتناثرة زهوره ينطوى فيها كل معانى فصل الخريف ، الذى يهيج فى كل قلب ما يكمن ، ويثير فى كل نفس مشجاة شجنها

والطير الممثل فى الصورة هو نوع من البط غير الأليف الطيار ، يتصف بشدة الوفاء ، فإذا مات إلف وترك أليفه ، فإنما قد ورثه الحزن والوحدة ، فيموت كمداً وحزناً على إلفه الراحل ، فيقاطع الطعام والشراب ، ولا يطير إلا منفرداً ، ولا يمكن أبداً أن يتخذ إلفاً غير إلفه فى الفترة التى يعيشها بعده طالت أو قصرت

وهذا الطير من الطيور المهاجرة ( القواطع ) فيعرف فصول السنة ويميزها ، ولذلك ينتقل من الشمال إلى الجنوب فى الشتاء ، ولما عرف عن هذا البط الطيار من شدة الوفاء ، يهدى للعروسين فى بلاد الصين يوم عقد القران لهما دليلاً على الوفاء

أخيراً أذهب إلى الصورة لأرى الشيء المنسى ... إنه بيت من الشعر ، مكتوب فى سطرين باللغة الصينية معناه : « وراء هذه الزهرة تكمن معانى الخريف »

هل كان يسمح منى أن أنسى هذا البيت من الشعر وهو الذى يفسر معنى الصورة ؟! لقد مررت وأنا أكتب هذا المقال بمواضع فيها من تداعى المعانى ما يذكرنى بالشيء المنسى ولم أذكره ، وكان لا بد لى من الذهاب إلى الإطار لأراه

عجباً ! كأن المصور أتم بيان صورته عما أراده منها ، أواتهم الجمهور فى فهم بيانه وما تشير إليه صورته ؟ إن يكن قد أتم نفسه فقد قصر فى إتمامه ، وإن يكن قد أتم الجمهور فقد عدل فيه ، فلا يفهم الصور فيما تشير إليه من معانٍ إلا أهل الفن والخواص من الناس

وإنسان الفن لا يريد إيضاحاً كلاميا ، ولهذا كان بيت الشعر بالنسبة للذاكرة شيئاً قليل الأهمية

وكيف يمكن أن أذكر هذا وأنسى براعة الفنان المدهشة فى الإلماع إلى كمون معانى الخريف وراء أزهاره الشاحبة فى ضوء القمر الكامل الاستدارة ! لقد أخفت أزهار المشب اللوحة بالحمرة والصفرة جزءاً يسيراً غائراً من طرف القمر ، فكان قلباً دامياً — نعم يقطر دماً

فيا أيها الفنانون المدعون ، هل تسيرون وفق طبائعكم أو تخالفونها — فلا تبصرون ولا تفقهون ، ولا تؤدون رسالاتكم المتوقف أداؤها على البصيرة ؟ ! !

زينب الحكيم

صدر كتاب

الشيخ على الطنطاوى

# فى بلاد العـــرب

صور طبيعية — ومواقف وطنية — ومشاهد اجتماعية — دمشقية — ولبنانية — وفلسطينية — وعراقية — وحجازية

بأسلوب يلذ الأديب ، وينفع الطالب ، ويرضى المؤرخ

فى أكثر من ٣٠٠ صفحة — تنشره المكتبة الهاشمية بدمشق

يصدر بعده ثلاثة كتب للمؤلف :

(صور وخواطر) . (من التاريخ الإسلامى) . (فى سبيل الإصلاح)